تداولية الفعل الكلامي في قصيدة كورونا للشاعر عبد العزيز الهَمَّامِي

د. السيد مبارك أبو زيد عبد المنعم[1]

(قدم للنشر في ٢٩/ ٠٥/ ١٤٤٣هـ؛ وقبل للنشر في ٢٦/ ٠٧/ ١٤٤٣هـ)

المستخلص: يتناول البحث نظرية الأفعال الكلامية – تنظيرًا وتطبيقًا – بوصفها أحد أهم جوانب المنهج التداولي، ويهدف إلىٰ الوقوف علىٰ تداولية الفعل الكلامي في قصيدة (كورونا) للشاعر عبد العزيز الهَمَّامي، وقد ظهرت الأفعال الكلامية – بأنواعها المختلفة – بصورة واضحة في هذا النص الشعري من خلال استعمال الشاعر لسلسلة متناسقة من تلك الأفعال والتي استطاع من خلالها أن يعيد الدعوة – التي لا خيار حول جدارتها – إلىٰ ضرورة الالتزام بالحجر المنزلي؛ إذ يرىٰ الشاعر في ذلك جزء من الخلاص والوقاية من هذا الوباء الذي تمر به الإنسانية، محاولًا من خلال قصيدته أن يؤثر في المتلقي، ولما كانت هذه الرغبة في التأثير تمثل نشاطًا موجها إلىٰ هدف، فقد حُدّدت بشكل أدق علىٰ أنها فعل لغوي، وجاء البحث في مقدمة ومبحثين، الأول منهما بعنوان: الأفعال الكلامية/ الماهية والأنواع، وثانيهما جاء بعنوان: الأفعال الكلامية/ النص والإجراء، ثم جاءت الخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويلحق بها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الفعل الكلامي، قصيدة كورونا، عبد العزيز الهمامي.

***

(١) أستاذ علم اللغة المساعد – كلية العلوم والآداب بطبرجل – جامعة الجوف.

البريد الإلكتروني: emabozead@ju.edu.sa

The Speech-act Pragmatics in the Poem Entitled (Corona) by: Abdul Aziz Al-Hammami

Dr. Elsayed Mobark Abozead Abdelmonem

(Received 02/01/2022; accepted 27/02/2022)

Abstract: The research deals with the Speech-Act Theory - An Applied and Theoretical Study - as it is one of the most important elements of the pragmatic approach.

It aims to realize the process of the speech-act pragmatics in the poem entitled (Corona) by Abdul Aziz Al-Hammami. The different kinds of the speech acts are reflected clearly in that poetic text, where the poet uses a coordinated series of these actions, through which he is able to repeat the valuable call to the need of staying at home. Adhering to such acts would lead to salvation and protection from this epidemic that frightens humanity. The poet tries, through his poem, to influence the audience; since this tendency represents an activity directed to a goal, it was more precisely defined as a linguistic act.

The research is divided into an introduction, and two chapters. The first chapter is entitled: Speech acts / Essence and Types. The second chapter is entitled: Speech acts / Text and Procedure. The conclusion presents the most important findings of the research and is followed by the most important sources and references.

Keywords: pragmatics, speech act, Corona poem, Abdul Aziz Al-Hammami.

❊ ❊ ❊

المقدمة

تعد نظرية الأفعال الكلامية واحدة من أهم الجوانب التي قام عليها المنهج التداولي، وهي تحاول أن تضع أيدينا علىٰ قصدية المتكلم من خلال إعطاء تفسيرات للأسئلة الآتية: ماذا أنجز الكلام بوصفه فعلًا صوتيًا؟ وكيف أثر في المتلقي؟ ولذا فهي تبنىٰ علىٰ أساس «التفريق بين الفعل بوصفه صيغة Verb، وبين الفعل من حيث كونه حدثًا واقعًا act action»(١)، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذا البحث الذي جاء بعنوان: «تداولية الفعل الكلامي في قصيدة كورونا(٢) للشاعر عبد العزيز الهمامي»(٣).

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام): أوستين، (ص٧).

(٢) القصيدة منشورة في مجلة الكلمة وتبلغ ٤٥ سطراً شعرياً. انظر: مجلة الكلمة – كورونا (alkalimah.net)، (ع١٥٦).

(٣) الشاعر عبد العزيز بن خليفة بن محمد الهمامي هو شاعر تونسي معاصر، من مواليد القيروان عام ١٩٥٢م، حصل علىٰ المعهد العالي للصحافة والعلوم والأخبار بتونس، وعمل مديراً مساعداً ببيت الشعر بالقيروان. والهمامي صاحب مسيرة شعرية جديرة بالتقدير والدراسة، فهو يكتب الشعر منذ السبعينيات في القرن الماضي، وصدرت له عدة مجموعات شعرية منها: (أبجدية الماء والرمل ٢٠١١ – مسافات غامضة ٢٠١٥ – هديل الغيمة ٢٠١٧). أسّس الهمامي أوّل نادٍ للأدب بمدينة القيروان سنة ١٩٦٨م، برزت فيه وجوه شعريّة وأدبيّة ذاع صيتها اليوم وطنيّا وعربيّا. كما كتب أوّل أوبيرات شعريّة وطنيّة تمّ عرضها أمام الزّعيم التونسي الرّاحل الحبيب بورقيبة بالقصر الرّئاسي برقّادة سنة ١٩٦٩م. وفوق ذلك كله فهو إعلامي ناجح كانت له تجربة مهنية امتدت إلىٰ نصف قرن من الزمان، فعمل مع وكالة تونس إفريقيا للأنباء والصباح والعمل، كما نشر الهمامي نصوصه ومقالاته وأشعاره بعدد من المنابر منها الصحف والمجلات، وساهم=

* أسباب اختيار الموضوع:

بالوقوف علىٰ المادة الأدبية موضوع الدراسة والأسباب الداعية إلىٰ اختيارها دون غيرها؛ فهي -كما قلنا- قصيدة عنوانها «كورونا»؛ وهي قصيدة تَجَلَّىٰ فيها أثر ممارسة الشاعر للعمل الصحفي القائم علىٰ المتابعة الحثيثة لمجريات الواقع، والبراعة في التقاط الحدث، وهي تعكس يقظة بديهته التي نجحت في استلهام الحدث الأكثر شهرة وتداولًا وانتشارًا (علىٰ مستوىٰ الميديا والصحافة والإعلام)، وهو فيروس كورونا وتداعياته الإنسانية والاجتماعية، لينسج من خيوط هذه المادة الإعلامية، ذات الأبعاد الصحية والاقتصادية في مقامها الأول، موضوعًا إنسانيًا واجتماعيًا يقيم عليه لحمة نصه الشعري الإبداعي وسداه.

ولقد نجح الشاعر، عبر ما قدمه في هذه القصيدة، في تحقيق تلك المعادلة الصعبة بين فعل التحذير القائم علىٰ التخويف من مآلات الوباء الفتاك (فاحذر أن تخرج من بيتك - الموت يدق علىٰ الأبواب - وحش يتبرص بالمنعطفات...إلخ)، وبين رسائل الطمأنة القائمة علىٰ التحول الإيجابي عبر تصوير فضاء العزلة فضاء إيجابيًا: (المنزل وردتك الأولىٰ ومكانك في الغرفة أوضح)، تمهيدًا للانتقال إلىٰ إرشاد القارئ وتوجيهه إلىٰ استثمار نتائج هذا التخويف في إنتاج

=في إنتاج وتقديم العديد من البرامج ذات الطّابع الإخباري والتّنموي للتلفزيون التونسي. ويسهم الهمامي ضمن أسرة التحرير بمجلة «القوافي» الصادرة عن بيت الشعر بالشارقة، وقد توج بالمركز الأول عن أفضل ديوان شعر ضمن مسابقات مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية، في دورتها السابعة عشرة عام ٢٠٢٠م عن ديوانه «هديل الغيمة». انظر: ترجمة الشاعر من موقع مؤسسة البابطين الثقافية، https://www.albabtaincf.org/afdhl-dywan، وانظر: موقع ميدل إيست أون لاين https://middle-east-online.com، نقلا عن مقال بعنوان: الهمامي.. شاعر تونسي مأخوذ بهاجس المكان، وانظر: موقع تراجم تونسية https://trajimtounoussia.wordpress.com، نقلاً عن مقال بعنوان الشاعر والصحفي عبد العزيز الهمامي.

الفعل الإيجابي (اقرأ كتبًا – شاهد أفلامًا – واكتب ما شئت وجنح...إلخ)، وبذلك استحقت هذه القصيدة الأهلية لمقاربة تداولية تستكشف ملامح هذه البراعة في التمثيل الإبداعي لقضية «كورونا».

*** مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في تقصي استعمال الشاعر للأفعال الكلامية وبيان مدىٰ قدرته علىٰ توظيف الفعل الكلامي لتوجيه المتلقي إلىٰ هدف معين، ومن خلال هذا النص الشعري يحاول الباحث أن يجيب عن سؤال مفاده: كيف تشكلت نظرية الأفعال الكلامية في شعر عبد العزيز الهمامي من خلال قصيدته كورونا؟ وكيف استطاع الشاعر توظيفها لإنجاز قَصْدِيَّتِه والتأثير في المتلقي؟

*** أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلىٰ الوقوف علىٰ صور الفعل الكلامي في النص الشعري الذي أسلفنا ذكره، والإفصاح عن مقاصد المتكلم/ الشاعر من خلال استخدامه للأفعال الكلامية، ليس هذا فحسب، بل هو يحاول أن يلقي بظلاله علىٰ أحد أهم جوانب النظرية التداولية (تنظيرًا وتطبيقًا).

*** منهج البحث:**

اعتمد البحث معطيات الدرس التداولي أساسًا للدراسة؛ وذلك لإبراز الأفعال الكلامية الكائنة في النص الشعري – موضوع الدراسة – وتحليلها للوقوف علىٰ طبيعة الفعل الكلامي في شعر عبد العزيز الهمامي من خلال قصيدته كورونا.

*** الدراسات السابقة:**

أما عن الدراسات السابقة التي تعرضت لهذا النص الشعري لاستكشاف واستنكاه الأفعال الكلامية من خلاله، فلم أرَ –علىٰ حد اطلاعي وبحثي– أية دراسة قد وقفت عليه أو تناولته في ضوء نظرية الأفعال الكلامية بوجه خاص، أو حتىٰ أي دراسة في إطار اللغة العربية وفنونها بوجه عام.

*** تبويب البحث:**

جاء البحث في مقدمة ومبحثين، الأول منهما بعنوان: الأفعال الكلامية/ الماهية والأنواع، وثانيهما جاء بعنوان: الأفعال الكلامية/ النص والإجراء، ثم جاءت الخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويلحق بها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

* * *

المبحث الأول

الأفعال الكلامية / الماهية والأنواع

نشأت نظرية الأفعال الكلامية من رحم المنهج التداولي(١)، الذي أصبح مستقرًا في الدرس اللغوي في العقد السابع من القرن العشرين نتيجة توجه العلماء إلىٰ العناية بالظواهر الكلامية؛ إذ تغيرت النظرة إلىٰ اللغة فلم يعد ينظر إليها علىٰ أنها نظام من الأدلة مستودع في أدمغة المتكلمين،

(١) يعود مصطلح التداولية (Pragmatics) بمفهومه الحديث إلىٰ الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris) الذي استعمله سنة ١٩٣٨م دالًا علىٰ فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمائية، وهذه الفروع هي: (علم الدلالة، وعلم التراكيب، والمقاماتية/ البراجماتية)، انظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، (ص٢٩، ٣٠)، وانظر: اتجاهات البحث اللساني: مليكا إفيتش، (ص٣٥٢)، وانظر: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: شاهر الحسن (ص ١٥٧ - ١٦٣)، وانظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، (ص٩، ١٠)، وانظر: التداولية من أوستن إلىٰ غوفمان: فليب بلانشيه، (ص١٧ - ٢٠)، وانظر: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلها في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، (ص٦٥).

بل علىٰ أنها نشاط يتحقق في وضعية خطابية تبادلية ومقيدة بقيود خاصة[1]، ولأن التداولية تقوم علىٰ دراسة استعمال اللغة بالكيفية التي يحصل بها التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبية، فإنَّ أقرب تعريف لها هو: «دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلىٰ أن المعنىٰ ليس شيئا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنىٰ تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولًا إلىٰ المعنىٰ الكامن في كلام ما»[2].

ويتفق الباحثون علىٰ أن البحث التداولي يقوم علىٰ دراسة أربعة جوانب، هي: الإشارة deixis، والافتراض السابق presupposition، والاستلزام الحواري conversational implicature، والأفعال الكلامية speech acts، «ويقع مفهوم الأفعال الكلامية في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصور المعاصرين ويشكل جزءًا أساسيًا من بنيته النظرية»[3].

وتستأثر الأفعال الكلامية باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطًا أساسيًا لاكتساب اللغة، ونقاد الأدب يرون فيها إضاءة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة وما تحدثه من تأثير في المتلقي، واللغويون يجدون فيها حلولًا لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وتعليم اللغة الثانية، أما في الدرس التداولي فإن الأفعال الكلامية تظل واحدًا من أهم المجالات فيه[4].

---

(١) انظر: مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي، (ص١٥٨).

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص١٤).

(٣) التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): د. مسعود صحراوي، (ص٥).

(٤) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٤٠).

ومن الجدير بالذكر أن هذه النظرية عرفت حضورًا في تراثنا البلاغي واللغوي من خلال ما قدمه علماؤنا العرب القدامىٰ في حديثهم عن المعنىٰ، وتطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء، وإن لم يسموا المصطلح بشكل مباشر إلا أنهم تطرقوا لمختلف مجالاته[1].

ومع بزوغ العقد السابع من القرن العشرين ظهرت هذه النظرية نظرية مستقلة واضحة المعالم، عندما قال فيلسوف اللغة (جون أوستين): إننا نقوم بعمل ما أو فعل ما أو حدث ما، عندما نقول شيئًا ما. وقد عرض أوستين نظريته في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)[2].

وفي هذا السياق يرىٰ جورج يول أنه «عند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم فإنهم لا ينشؤون ألفاظًا تحوي بنىٰ نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالًا عبر هذه الألفاظ... تعرف الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ عمومًا بأفعال الكلام»[3]، ولذلك فالفعل الكلامي عنده فعل إنجازي يتحقق عبر إنشاء مجموعة من الألفاظ، ويتحدد وفقا لنية (قصد) المتكلم التواصلية[4].

وبذلك يمكن القول إن الفعل الكلامي هو فعل تفاعلي ينقل اللغة من وظيفة التعبير اللفظي إلىٰ وظيفة الإنجاز «فالفعل الكلامي عبارة عن أداء لفعل معين كأن يكون أمرًا بضرورة القيام بعمل ما أو وعدًا بإنجاز عمل آخر، أو حكمًا لفعل معين بحالة شعورية تجد طريقتها التجسيد اللساني»[5].

(١) انظر: التداولية عند العلماء العرب، (ص٥٠).

(٢) انظر: نظرية أفعال الكلام العامة، (ص١١٥).

(٣) التداولية: جورج يول، (ص٨١).

(٤) انظر: السابق، (ص ٨٢).

(٥) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية): د. نعمان بوقرة، (ص٨٩، ٩٠).

وقد ميز (أوستين) في بداية نظريته بين نوعين من الأفعال[1]:

النوع الأول: الأفعال الوصفية: وهي تلك الأقوال التي تصف حالًا معينة لشيء أو شخص، وقد سماها النحاة العرب بالأساليب الخبرية، ومن خصائصها أنها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ.

النوع الثاني: الأفعال الإنجازية (الأدائية): وهي لا تصف ولا تخبر، وغير خاضعة لمعيار التصويب، ولكن ميزتها الأساسية أن التلفظ فيها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وتقابل في العربية ما يسمىٰ بالأساليب الإنشائية.

ومع تطور النظرية رأىٰ (أوستين) أن الفعل الكلامي فعل مركب من ثلاثة أفعال تشكل كيانًا واحدًا، وهي تُؤَدَّىٰ في الوقت نفسه الذي ينطق فيه الفعل الكلامي، ومن ثَمَّ فالأفعال الكلامية (وفقًا لوجهة نظر أوستين) ثلاثة أنواع[2]:

أ- فعل القول (أو الفعل اللغوي): ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة علىٰ أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوىٰ الصوتي، والمستوىٰ التركيبي، والمستوىٰ الدلالي. ولكن أوستين يسميها أفعالًا: الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلىٰ لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقًا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة. فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن يفهم معنىٰ الجملة،

(١) وقد أفرد أوستين للتمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية بحثًا كتبه بالفرنسية، وألقاه في مؤتمر أنجلو فرنسي سنة ١٩٥٨م، ثم ترجمه بعد (وورنوك) إلىٰ الإنجليزية، ونشره بعد ذلك سيرل في كتابه (فلسفة اللغة) الذي صدر سنة ١٩٧١م، انظر: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، د. محمود أحمد نحلة، مجلة الدراسات اللغوية مج١، ع١، (ص١٦٢).

(٢) انظر: التداولية عند العلماء العرب، (ص٤١، ٤٢).

ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بـ(أنها ستمطر)، أم تحذير من (عواقب الخروج في الرحلة)، أم (أمر بحمل مظلة) أم غير ذلك... إلا بالرجوع إلىٰ قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام. ويرىٰ أوستين أنه «لكي ننجز فعلًا كلاميًا وجب أن أؤدي فعلًا صوتيًا»(١).

ب- الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الكامنة خلف هذه الأفعال: القوىٰ الإنجازية، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة... إلخ، ويرىٰ فان دايك أن مفهوم الفعل الإنجازي يؤخذ من مفهوم الحدث الذي يرتبط معه في علاقة وثيقة(٢).

ج- الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري): ويقصد به أوستين أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة بمقاصد معينة في سياق محدد، تحدث أثرًا عند المتلقي أو المستمع. كأن «نقول شيئًا ما قد يترتب عليه أحيانًا أو في العادة حدوث بعض الآثار علىٰ إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته، كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر علىٰ المتكلم، وغيره من الأشخاص الآخرين، وقد يقع أن نتعمد إحداث هذه الآثار والنتائج واللوازم عن قصد ونية أو غرض ما»(٣).

ولكن ما قدمه أوستن لم يكن كافيًا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافيًا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهومًا محوريًا لهذه النظرية، حتىٰ جاء (جون سيرل) فأحكم وضع

(١) نظرية أفعال الكلام العامة، (ص١١٦).

(٢) انظر: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان دايك، (ص٢٢٨).

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة، (ص١٢١).

الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية كافيًا لجعل الباحثين يتحدثون عن نظرية (سيرل) في الأفعال الكلامية بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستن، ويمكن أن نوجز القول في أهم ما جاء به (سيرل) على النحو الآتي[1]:

١- نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلًا يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة[2].

٢- الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف الاجتماعي.

٣- استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي: يكون ما يقوله المتكلم مطابقًا لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

٤- قدم (سيرل) تصنيفًا جديدًا بديلًا لما قدمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على خمسة أسس منهجية هي: التقريريات - الوعديات - التوجيهيات (الطلبيات) - الإيقاعيات - البوحيات.

***

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٤٧) وما بعدها.

(٢) انظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، (ص١٠٩).

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية / النص والإجراء

* النص:

فَلْتَدْخُلْ بَيْتَكَ لَوْ تَسْمَحْ

العَالَمُ مَوْبُوءٌ

وهَوَاءُ الشّارِعِ يَجْرَحْ

المَنْزِلُ وَرْدتُك الأُولَىٰ

وَمَكَانُكَ فِي الغُرْفَةِ أَوْضَحْ

كُورُونَا العَصْرِ تُبَاغِتُنَا

وَتُعَرْبِدُ تَحْتَ مَلاَبِسِنَا

فَاحْذَرْ

أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ

أَوْ تَبْرَحْ

المَوْتُ يَدُقُّ عَلَىٰ الأَبْوَابِ

فَلاَ تَفْتَحْ

وَحْشٌ يَتَرَبَّصُ بالمُنْعَطَفَاتِ

مَخَالِبُهُ لاَ تَصْفَحْ

لَمْ يَظْهَرْ للعَيْنِ

وَلَمْ نَدْرِ مَتَىٰ أَمْسَىٰ

وَمَتَىٰ أَصْبَحْ

اقْرَأْ كُتبًا
شَاهِدْ أَفْلامًا
وَاكْتُبْ مَا شِئْتَ وَجَنِّحْ
وَاجْعَلْ مِنْ وَقتِكَ أُغْنِيَةً
كُنْ طِفْلًا فِي بَيْتِكَ وَامْرَحْ
سَتَرَىٰ الأَشْيَاءَ مُلَوَّنَةً
وَالكَوْنَ أَمَامَكَ بُستانًا
وَطُيُورًا تَصْدَحْ
هَذا لَيْلٌ يَتَوَسّدُ قَتْلاهُ
وَيُعرِّي اَخِرَ مُفْرَدَةٍ
فِي الزّيْفِ وَيَفْضَحْ
وَالوِحْشَةُ تزْدَرِدُ الأَشْيَاءَ
فلاَ وَجْهٌ يفْتَرُّ
وَلاَ قَلْبٌ يَفْرَحْ
فَلْنَعْشَقْ دِفْء مَنَازِلِنَا
وَنُصَلّي
حَرْبٌ فِي العَتْمَةِ دَامِيَةٌ
وَخَنَاجِرُهَا تَذْبَحْ
هِيَ مَعْرَكَةٌ فِي دَاخِلِنَا
قَدْ نَخْسِرهَا أَوْ نَرْبَحْ
وَدُرُوسٌ قَاسِيَةٌ

لَمْ نَعْرِفْ
أَنْ نَفْشَلَ فِيهَا أَوْ نَنْجَحْ
اليَوْمَ يَفِيضُ غُرُوبُ الأَرْضِ
عَلَىٰ لُغَتِي
وَأَنَا لاَ شْيء لَدَيَّ سِوَىٰ
أَنْ أَسْجُدَ لِلهِ
أَسْتَغْفِرُهُ وَأُسَبِّحْ

* الإجراء:

لقد اعتمد البحث تصنيف الأفعال الكلامية الذي قدمه (سيرل)، الذي يقوم علىٰ خمسة أسس منهجية - كما ذكرنا في نهاية المبحث الأول - هي: (التقريريات، والوعديات، والتوجيهيات، والإيقاعيات، والبوحيات)، ليحاول أن يكشف من خلالها عن طبيعة الفعل الكلامي في قصيدة كورونا للشاعر عبد العزيز الهَمَّامِي، من خلال الوقوف علىٰ مؤشرات السياق والمعلومات السياقية والمقامية التي يتضمنها كل فعل لغوي؛ إذ إنه في «حالات كثيرة لا يحسم أي إنجاز محدد قد تم بوجه عام إلا بناء علىٰ معلومات سياقية»(١).

أولًا: التقريريات: والغرض منها هو الغرض التقريري، ويتعهد المتكلم فيها أن محتوىٰ التَّفَوُّه حقيقي وأن كلماته تطابق العالم الخارجي، والشرط الأساسي فيها هو حيازة المتكلم علىٰ شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوىٰ القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد(٢)، ويصرح سيرل: أن أبسط اختبار للتقريريات هو... هل يمكن

(١) التحليل اللغوي للنص مدخل إلىٰ المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، (ص١١٧).

(٢) انظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم=

وصفها... بالصادقة والكاذبة أم لا[1].

وعند تتبع المسار الدلالي للقصيدة ورصد تلك الأفعال نلحظ أن القصيدة لا تخلو من الأفعال التقريرية المثبتة لبعض الحقائق حول طبيعة هذه الجائحة التي اجتاحت العالم والتي أوقعت الإنسان في صدمة لم يستوعب فيها ما حدث حوله، فقد استيقظ العالم علىٰ وباء لا يستطيع أحد السيطرة عليه، ومن ثم سادت حالة الخوف من هذا الوباء، كما شكلت قلة المعلومات حول هذا الوباء في بدايته هاجسا عند البعض من انتقال العدوىٰ، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ ضرورة الالتزام بالعزل المنزلي وتنفيذ الكثير من الإجراءات الاحترازية، ومن ثّم يبدأ الشاعر في تقرير هذه المعلومات الواضحة والجلية، في قوله:

العالَم مَوْبُوءٌ
وهَوَاءُ الشّارِعِ يَجْرَحْ
المَنْزِلُ وَرْدتَك الأُولَىٰ
وَمَكَانُكَ فِي الغُرْفَةِ أَوْضَحْ

وتأتي القوة الإنجازية لهذه الأفعال في تقرير حقيقة هذا الوباء وخطورته ومن ثَمّ ضرورة لزوم البيت الذي يرىٰ الشاعر فيه منجاة وجزء من الخلاص والوقاية، ويأتي الفعل التأثيري لهذه الأفعال التقريرية متمثلًا في رهبة المستمع وخوفه من هذا الوباء وما يستتبع ذلك من التزامه بالحجر الصحي الذي أكد عليه الشاعر بالفعل الطلبي في بداية قصيدته في قوله (فلتدخل بيتك لو تسمح). «فالمتكلم عند استخدام جملة ما فهو يحقق مقاصد تواصلية محددة، تتعلق بما تخبر به الجملة مباشرة وارتباط ما تخبر به مباشرة بجمل أخرىٰ في السياق اللغوي، وهكذا تنتج جهة

=الطبطبائي، (ص٣٠)، وانظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، (ص١٥٣).

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٣).

توجه الوظائف التواصلية من تعلق مميز مقصود من المتكلم بالمحيط اللغوي للجملة، هذا التعلق المقصود من المتكلم بالسياق اللغوي يجب... أن يعيد المتلقي بناءه علىٰ النحو ذاته الذي قُصد من المتكلم»[1].

ولقد أصبح هذا الوباء هو الأكثر شيوعًا وانتشارًا علىٰ مستوىٰ العالم، ذلك الوباء (الفيروس) الذي لا يتم رؤيته بالعين المجردة، والذي أحدث تغييرات كبيرة في حياة البشر، وتسبب في حالة من الهلع والفزع في البلدان المختلفة؛ لذا جاء الشاعر بالأفعال التقريرية الآتية، ليوضح هذه الحقيقة ويقررها، في قوله:

لَمْ يَظْهَرْ لِلعَيْنِ
كُورُونَا العَصْرِ تُبَاغتُنا
وَتُعَرْبِدُ تَحْتَ مَلاَبِسِنَا

تؤكد هذه الأفعال السابقة صدق المحتوىٰ القضوي الذي يمثل طبيعة هذه الجائحة وما تفعله بالعالم في الوقت الراهن، وتأتي القوة الإنجازية لها في تقرير حقيقة هذا الوباء وما يستتبع ذلك من الحذر منه، أما قوتها التأثيرية فتكمن في التزام الفرد بالبعد عن مسببات هذا (الفيروس)، علىٰ الأقل المسببات الواضحة له، ولا شك أن الشاعر يحاول أن يقدم للمتلقي كافة المعلومات التي تؤكد له خطورة هذا الوباء، ولذلك «تقول أوركيوني: إن الكلام، بدون شك هو تبادل للمعلومات، ولكنه أيضًا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي»[2]، ومن ثَمَّ نجد الشاعر يسترسل في تبادل

(١) انظر: إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة: نقله إلىٰ العربية وعلق عليه، د. سعيد حسن بحيري، (ص٢٧).

(٢) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: عمر بلخير، (ص١٤٥)، نقلا عن:
C.K.Orecchioni, Enonciation du la subjectivite dans la langage. P185. Armand, Paris.

المعلومات التي من شأنها تغيير وضعية المتكلم، من خلال استعماله للأفعال التقريرية الآتية:

الموت يدق علىٰ الأبواب

مَخَالِبُهُ لاَ تَصْفَحْ

هَذا لَيْلٌ يَتَوَسّدُ قَتْلاَهُ

وَيُعرِّي اَخِرَ مُفْرَدَةٍ

فِي الزّيْفِ وَيَفْضَحْ

وَالوِحْشَةُ تزْدَرِدُ الأَشْيَاءَ

فلاَ وَجْهٌ يفْتَرُّ

وَلاَ قَلْبٌ يَفْرَحْ

تكمن القوة الإنجازية لهذه الأفعال في تأكيد وحشية هذا الوباء، فالكل أصبح مهددًا بالإصابة بالعدوىٰ من هذا الفيروس الذي أصبح شبح الموت يطوف في إطاره، وجعل كل شيء في حياة الإنسان مظلما تتوارىٰ فيه قيمة الحياة ولحظات الفرح والحزن؛ إذ بين عشية وضحاها تتغير الأوضاع، محاولًا من ذلك خلق فعل تأثيري في المتلقي لترهيبه من هذا الوباء إذا حاول الاستهانة به، فالفرد بطبيعته حينما يرىٰ الأمر بعيدًا عنه يستهين به، فإذا حدثت حالة مرض أو وفاة في عائلته أو أصابه المرض فالأمر مختلف.

ومن الجدير بالذكر أن التقريريات تسهم بشكل كبير في الوظيفة المعلوماتية للنص «فهي ترتكز علىٰ أن الأخبار تشكل موضوعات من وقائع... يحاول الباثّ بنصوص ومنطوقات في عملية التواصل علىٰ نحو معين أن يؤثر في المتلقي، ولما كانت هذه الرغبة في التأثير تمثل نشاطًا موجها إلىٰ هدف، فقد حُدّدت بشكل أدق بأنها فعل لغوي»[1].

(١) التحليل اللغوي للنص، (ص١٠٨).

ثانيًا: الوعديات: والغرض منها هو الغرض الوعدي، إذ يلزم المتكلم نفسه بعمل ما، ويكون الاتجاه بمطابقة العالم للكلمات، والشرط الأساسي فيها هو قدرة المتكلم علىٰ أداء ما يلزم نفسه به، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الوعد هي القصد(١). وهكذا فإن المتكلم الذي يتلفظ بجملة بها أفعال كلامية (وعديات) يقصد في مقام أول الوعد، ويحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة المنطوق(٢).

وتظهر الأفعال الكلامية / الوعديات في النص من خلال ثنائية الوعد والوعيد وقد نجح الشاعر، عبر ما قدمه في هذه القصيدة من أفعال كلامية، في تحقيق تلك المعادلة الصعبة بين فعل الوعيد القائم علىٰ التخويف من مآلات الوباء الفتاك، في قوله:

فاحذر أن تخرج من بيتك

الموت يدق علىٰ الأبواب

وحش يتبرص بالمنعطفات

وبين رسائل الطمأنة القائمة علىٰ التحول الإيجابي عبر تصوير فضاء العزلة فضاء إيجابيًا، في قوله: (المنزل وردتك الأولىٰ – ومكانك في الغرفة أوضح) وذلك تمهيدًا للانتقال إلىٰ إرشاد القارئ وتوجيهه إلىٰ استثمار نتائج هذا التخويف في إنتاج الفعل الطلبي (اقرأ كتبًا – شاهد أفلامًا – اجعل من وقتك أغنية – كن طفلًا في بيتك وامرح)، ليتحقق فعل الوعد، وذلك في قوله:

سترىٰ الأشياء ملونة

والكون أمامك بستانًا

وطيورًا تصدح

---

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٠، ٣١).

(٢) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول، جاك موشلار، (ص٣٣).

هذا الفعل الوعدي الذي يحاول المتكلم فيه إيصال فكرته للمتلقي في أن النظرة الإيجابية والتعاطي الإيجابي مع الأزمات يحولها إلىٰ منح، فنظرته الإيجابية للجائحة واستثمار عزلته المنزلية سيجعل لحياته لونًا وروحًا، وتتجلىٰ قيمته التأثيرية في صمود الإنسان نفسيًا أمام هذه الأزمة بدلًا من أن يقع فريسة للقلق والتوتر والاضطرابات النفسية.

وما بين الوعد والوعيد تشكلت الوعديات في القصيدة، التي استطاع الشاعر من خلالها أن يضع المتلقي أمام مسؤوليته تجاه تلك الجائحة، وعليه أن يختار بين الالتزام بالإجراءات الاحترازية والحجر المنزلي، أو يترك نفسه فريسة لهذا الوباء.

ثالثًا: التوجيهيات (الطلبيات): تقوم التوجيهيات بوصفها فعلًا كلاميًا علىٰ التأثير في المستمع لإنجاز فعل ما[1] والغرض منها هو الغرض الطلبي؛ إذ يحاول المتكلم فيها دفع السامع إلىٰ فعل شيء ما، لفظي أو غير لفظي، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلىٰ القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والشرط الأساسي فيها هو قدرة المخاطب علىٰ أداء المطلوب منه، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الطلبيات هي الإرادة أو الرغبة[2]، وتندرج تحتها جميع صور الطلب من أوامر، وتعليمات، ونواه، ومقترحات[3].

وعند رصد هذا النمط من الأفعال الكلامية في القصيدة نجد حضورًا مهيمنًا للتراكيب الطلبية المتمثلة في الأمر بالدرجة الأولىٰ، وهناك صيغ كثيرة لإنجاز الأمر، بشرط توفر السلطة وتوجه المنفعة تجاه المرسل، وقد ذكر العلماء من صيغ الأمر (افعل ولتفعل) وذلك عند تعريفهم للأمر، بل جعلوها لب الأمر، كما أن وجهة المنفعة هي من العناصر التي تمنح التوجيه

(١) انظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، (ص٢٣٣).

(٢) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣١).

(٣) انظر: التداولية، (ص٩٠).

حكمًا معينًا، ومع أن الأمر من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الإستراتيجية التوجيهية، فقد يستعمل المرسل الإستراتيجية التوجيهية لغير الأمر، فللتوجيه وجوه كثيرة منها الندب، والتأديب والإرشاد،... إلخ[1].

وقد افتتح الشاعر قصيدته بخطابه الطلبي مستعملًا الأفعال الكلامية الدالة علىٰ الأمر والتوجيه والطلب، نظرًا لأهمية هذا الجائحة ونظرًا لخطورة المرض وتفشيه في المجتمعات البشرية المتعددة؛ لذا يحاول توجيه المتكلم إلىٰ ضرورة الالتزام بالحجر المنزلي، وذلك في قوله:

فَلْتدخلْ بيتَكَ لَوْ تسْمحْ

(العالَم مَوْبُوءٌ)

وتأتي القوة الإنجازية لهذا الفعل الطلبي متمثلة في سعي المتكلم نحو إرشاد المستمع/ المخاطب وتوجيهه إلىٰ الالتزام بالحجر المنزلي، ويتمثل الفعل الناتج عن القول / الفعل التأثيري لهذا الفعل الطلبي بالتزام المخاطب بما يوجه به المتكلم نظرًا لأنه قدم له سبب ذلك في قوله (العالم موبوء) بالإضافة إلىٰ كافة المؤشرات التي تحيط بالمخاطب وتوضح خطورة هذا الفيروس، ولما كانت سلطة المرسل مساوية لسلطة المتلقي، فقد حاول المرسل تقديم ما يعضد توجيهه سعيًا لالتزام المتلقي بما يصبو إليه المخاطب وبما يسعىٰ إلىٰ توجيهه إليه؛ إذ إنه «ليست المسألة لغوية بحتة، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لا بد أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنها هي التي تحوَل دلالة الصياغة من الأمر إلىٰ غير ذلك»[2].

ويحاول الشاعر إنجاز قَصْدِيَّتِه في التحذير من هذا الوباء، وتكرار التأكيد علىٰ ضرورة

(١) انظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، (ص٣٤٣).

(٢) إستراتيجيات الخطاب، (ص٣٤٢).

الالتزام بإجراءات الحجر المنزلي، من خلال استدعائه لأفعال توجيهية أخرىٰ والتي أتت بصيغة الأمر أيضًا في قوله:

فَاحْذَرْ

أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ

أَوْ تَبْرَحْ

وتظهر قوتها الإنجازية لهذه الأفعال في تكرار التوجيه للمتكلم وطلب الالتماس منه أن يظل قابعًا في منزله، لما فيه مصلحة له وللمجتمع، فناقوس الخطر قد داهم الجميع، وأصبح شبح الموت يخيم علىٰ العالم، وقد خرج الأمر هنا عن دلالته الأصلية إلىٰ دلالة أخرىٰ هي الالتماس، إذ إن «الأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل علىٰ سبيل الإيجاب، وقد يأتي لمعانٍ أُخر علىٰ سبيل المجاز، تفهم من المقام، ومنها: الالتماس، كقولك لمساويك أفعل كذا»(١).

ويستعمل الشاعر الأفعال الكلامية التوجيهية بصيغة الأمر كذلك إلىٰ إرشاد المخاطب وتوجيهه إلىٰ استثمار نتائج هذا التخويف في إنتاج الفعل الإيجابي، في قوله:

اقْرَأْ كُتبًا

شَاهِدْ أَفْلاَمًا

وَاكْتُبْ مَا شِئْتَ وَجَنِّحْ

وَاجْعَلْ مِنْ وَقتِكَ أُغْنِيَةً

كُنْ طِفْلًا فِي بَيْتِكَ وَامْرَحْ

(سترىٰ الأشياء ملونة)

فقد جاءت الأفعال الكلامية السابقة (الطلبيات) بصيغة الأمر ويحاول فيها الشاعر حث

(١) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، (ص١٤).

المخاطب وتوجيهه علىٰ الاستفادة وقت الحجر الصحي في أفعال كلامية طلبية دالة علىٰ الأمر، تظهر قوتها الإنجازية في توجيه المتكلم للمخاطب إلىٰ فعل أي شيء من هذه الأمور السابقة (اقرأ كتبًا – شاهد أفلامًا – اكتب ما شئت – اجعل من وقتك أغنية – كن طفلًا – امرح) وهو يقدم للمخاطب أمثلة علىٰ استغلال الوقت وعلىٰ المخاطب أن يستغل وقته كيفما شاء، ومن ثَمَّ فهي تؤثر في المخاطب لتجعله ينظر بإيجابية ويقرأ الأزمة بالشكل الصحيح ويحاول استغلال وقته والاستفادة منه بالصورة الأمثل، لذلك سيخرج المخاطب من الأزمة معافىٰ صحيًا ونفسيًا، بدلًا من أن يجد نفسه محاطًا بالاكتئاب والتوتر والقلق النفسي.

ولما كانت الدعوة إلىٰ ضرورة الالتزام بالحجر المنزلي ضرورة فرضها هذا الفيروس المستجد، فلم يكتفِ الشاعر باستخدام صيغة الأمر فقط، بل أكد ذلك بصيغة النهي -أيضًا- ومن ذلك قوله:

(المَوْتُ يَدُقّ عَلَىٰ الأَبْوَابِ)

فَلاَ تَفْتَحْ

فقد بدأ الشاعر بالفعل التقريري السابق (الموت يدق علىٰ الأبواب) ليؤكد صدق المحتوىٰ القضوي وتقرير حقيقة هذا الوباء الذي قد يتحول إلىٰ طاعون يفتك بالملايين من البشر، إذا فشلت البشرية في محاصرته والقضاء عليه ووجدت نفسها عاجزة أمام انتشاره السريع، لذا يؤكد الشاعر علىٰ ضرورة الالتزام بالبيت وعدم الخروج منه مستعملًا الفعل الطلبي التوجيهي الدال علىٰ النهي في قوله (لا تفتح)، والذي يؤدي قوة إنجازية تُوَجِّهُ المتكلم إلىٰ ضرورة الالتزام بإجراءات الحجر المنزلي ملتمسًا منه ذلك؛ إذ إن «الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف علىٰ سبيل التحريم، وقد يأتي لمعان أُخر، تفهم من المقام، ومنها: الالتماس: كقولك للمساوي: لا تفعل»[1]، ويتمثل الفعل التأثيري لهذا الفعل الطلبي بالتزام المخاطب بما

(١) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، (ص١٥).

يوجه به المتكلم نظرًا لأنه قدم له سبب ذلك بالفعل التقريري السابق عليه في قوله (الموت يدق علىٰ الأبواب) ولذا سيلتزم المخاطب بهذا التوجيه نظرًا للمعلومات المتلاحقة والمتسارعة عن خطورة الوباء وكذا الأخبار المتتابعة حول وقوع وفيات هنا وهناك جرّاء انتشاره.

وتتكشف الأفعال الكلامية التوجيهية في أنماط تعبيرية أخرىٰ تفيد دلالات سياقية وتُنجز أفعالًا كلامية، يكون الغرض التوجيهي منها النصح والإرشاد، وذلك في قوله:

فَلْنَعْشَقْ دِفْء مَنَازِلِنَا
وَنُصَلّي
وَأَنَا لاَ شيء لَدَيَّ سِوَىٰ
أنْ أَسْجُدَ لِلهِ
أَسْتغْفِرُهُ وَأُسبِّحْ

ويتجلىٰ قيمة الفعل الإنجازي فيها في محاولة الشاعر تقديم وصفة سحرية لهؤلاء الذين يلتزمون بالحجر المنزلي من خلال التأكيد علىٰ ضرورة النظرة الإيجابية لهذا الأمر، والتي يعيد الشاعر من خلالها تجليه الخاص في الدنو والاقتراب والخشوع والعودة إلىٰ الله فليس بيده أو بيد الآخرين سوىٰ الرجوع إلىٰ الله بالعبادة والدعاء، والفعل التأثيري لهذه الأفعال يتمثل في قبول فكرة الحجر المنزلي ليس هذا فقط بل والاستمتاع بها، والنظر إليها علىٰ أنها فرصة للتقرب من الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا يُعَدُّ تغييرًا لتفكير المستمع ونقله من التفكير السلبي إلىٰ التفكير الإيجابي، وهذا يؤدي لا شك إلىٰ نجاح العملية التواصلية؛ إذ إن نجاح العملية التواصلية «يتطلب أن يستعمل طرفا عملية التواصل – المرسل والمستقبل– نفس السنن، وأن توظف العلامة اللغوية في سياقها أو مقامها»(١)، هذا إلىٰ جانب ما ذكرناه من تأكيده علىٰ ضرورة التزام المنزل من خلال الفعل التوجيهي الدال علىٰ الحث والإرشاد.

(١) السيميائية وفلسفة اللغة: أمبرتو إيكو، (ص١٧).

ومن ثَمَّ فقد استطاع الشاعر أن يوظف الأفعال الكلامية (الطلبيات) لما لها من دلالة على التوجيه والحث وطلب الالتماس، ولما كان الالتزام بالإجراءات الاحترازية أمرًا ضروريًا وواجبًا للحد من انتشار هذه الجائحة – جائحة كورونا – فقد أكد الشاعر على جدارتها من خلال استعمال الأفعال الطلبية (الأمر والنهي)؛ إذ إن «وقوع الأمر والنهي بالفعل يعود إلى كونهما عملين يقومان على تزجية المخاطب إلى أمر لإنفاذه وأدائه في الكون الخارجي»[1].

رابعًا: الإيقاعيات: الغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح، فهي أفعال يتغير العالم بعد النطق بها؛ إذ يغير المتكلم فيها ظرفًا أو موقفًا خارجيًا بمجرد التفوه بها، ولا يوجد شرط أساسي لها، أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الإيقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل ناجحًا والرغبة في وقوعه ناجحًا، وهي تتطلب مؤسسات غير لغوية تمتلك السلطة لتحدد قواعد استعمالها[2].

ومن الأنماط التعبيرية التي تشير إلى وقوع الإيقاعيات اتخاذ القرار؛ إذ إن الشاعر قد اتخذ قرارًا مسبقًا بأهمية التزام الإجراءات الاحترازية، ولزوم المنزل وذلك في قوله:

كُنْ طِفْلًا فِي بَيْتِكَ وَامْرَحْ

سَتَرَىٰ الأَشْيَاءَ مُلَوَّنَةً

وَالكَوْنَ أَمَامَكَ بُستانًا

وَطُيُورًا تَصْدَحْ

لقد بدأ الشاعر بالفعل الطلبي (كن) للدلالة على توجيه المتلقي كي ينظر نظرة إيجابية للحجر المنزلي، وهذا في دلالة الفعل الصوتي المباشر، ولكن الواضح أن الشاعر أراد فعلًا

(١) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، د. خالد ميلاد، (ص١٣٢).

(٢) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣١، ٣٢).

كلاميًا غير مباشر يقرر فيه ضرورة النظر للحجر المنزلي بنظرة إيجابية تفاؤلية هذه النظرة تغير العالم من حولك لذا أكد ذلك بالأفعال الكلامية التقريرية الآتية (سَتَرَىٰ الأَشْيَاءَ مُلَوَّنَةً – وَالكَوْنَ أَمَامَكَ بُستانًا – وطُيُورًا تَصْدَحْ)، وتتمثل القوة الإنجازية للأفعال السابقة في اتخاذ قرار الإمساك باللحظة وتقبل الأمور كما هي بل وتحويل المحنة إلىٰ منحة، ومن المعلوم أن الحركة هي الحياة، والجمود والتقوقع في البيت هو الموت، ولكن حينما يكون الجلوس بالمنزل مفروضًا عليك، فتتغير الأشياء من حولك، ولك حينها أن تقبل بالأمر الواقع وتقرأ الأزمة بشكل صحيح، وتحاول إخراج أفضل ما فيها، وإما أن ترفض الإذعان والقبول ومن ثم قد تدخل في نوبة من الاكتئاب وما يستتبعه من آثار نفسية، وهذا القرار في الغالب يرجع إلىٰ الطبيعة التكوينية لكل شخص فمن كان دائمًا يفكر بشكل إيجابي فسيخلق من الأزمة شيئًا إيجابيًا، والعكس صحيح، وتكون هذه الأفعال من حيث تغيير فكر المتلقي وتوجيهه إلىٰ النظر للأمور بصورة إيجابية فعلًا تأثيريًا.

خامسًا: البوحيات: الغرض من البوحيات هو التعبير عن موقف حيال واقعة ما أو قضية معينة؛ إذ يعبر المتكلم فيها عن موقفه تجاه حالة معينة يحددها، والشرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوىٰ القضوي؛ إذ إن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها.(١)

وقد عبر الشاعر عن حالته النفسية تجاه هذه الجائحة، تلك الجائحة التي تركت أثارًا نفسية علىٰ العالم أجمع وسببت حالة من القلق والهلع بين كافة الشعوب، ومن أهم المهددات النفسية تلك القيود التي فرضتها علىٰ الأفراد وانعكاساتها النفسية، كما أثرت علىٰ السلوكيات وأنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، يقول الشاعر:

(١) انظر: نظرية الأفعال الكلامية، (ص٣٢، ٣٣).

حَرْبٌ فِي العَتْمَةِ دَامِيَةٌ
وَخَنَاجِرُهَا تَذْبَحْ
هِيَ مَعْرَكَةٌ فِي دَاخِلِنَا
قَدْ نَخْسِرهَا أَوْ نَرْبَحْ
وَدُرُوسٌ قَاسِيَةٌ
لَمْ نَعْرِفْ
أَنْ نَفْشَلَ فِيهَا أَوْ نَنْجَحْ

لقد جاءت الأفعال الكلامية السابقة (البوحيات) التي يعبر فيها الشاعر عن حالته النفسية تجاه تلك الجائحة التي باتت تهدد مستقبل الإنسانية، وخصوصًا إذا كنت تحارب شبحًا مجهول المعالم، ولذا فالشاعر عبر بتلك الأفعال الكلامية الصوتية عن طبيعة هذه الجائحة، لكن هذه الأفعال لها قوة إنجازية متمثلة في ضرورة الاستعداد لهذا الوباء والتصدي له والالتزام بالإجراءات الصحية التي تفرضها الدول، وقد تفسر تلك الأفعال علىٰ محمل آخر - إذا وضعنا في الحسبان من قال بنظرية المؤامرة حول الوباء - يتجسد في كون الوباء حربًا علمية (بيولوجية) تهدد حياة البشرية وأما أن يتسلح الإنسان بالإجراءات الاحترازية، ويحاول أن يهزم هذا الوباء بالعلم فينجح وتسلم البشرية، وإما أن يغض الطرف فيفشل ويقضي الوباء علىٰ العالم، وهلم جرًا حول ما قيل عن ذلك، وأما الفعل التأثيري فيتجسد في التأثير في المتلقي، فإما أن يكون علىٰ قدر المسؤولية ويلتزم بما تفرضه الدولة من إجراءات لتفادي هذه الجائحة، وإما أن يتهاون فَيَهْلَك وَيُهْلِك من معه - وهذا ما لم يرضه الشاعر - لأن الفشل والنجاح في مواجهة هذه الجائحة متوقف علىٰ اختيار الفرد، والشاعر اختار قبل ذلك النظرة الإيجابية والالتزام بإجراءات الحجر ودعا العالم إلىٰ ذلك.

***

الخاتمة

وبعد، فقد تم هذا البحث في إطار جانب من جوانب الدرس التداولي، وكان معنيًا بدراسة تداولية الفعل الكلامي في قصيدة كورونا للشاعر عبد العزيز الهمامي؛ بهدف الوقوف علىٰ صور الأفعال الكلامية – بأنواعها المختلفة – تلك التي ظهرت بصورة واضحة في هذا النص الشعري، وقد توصل البحث إلىٰ عدد من **النتائج** من أهمها:

١ – تداخلت الأفعال الكلامية بتنوعاتها المختلفة في شعر عبد العزيز الهمامي – من خلال قصيدته كورونا – وشكلت أداة لغوية حملت قوة إنجازية حاول الشاعر من خلالها أن ينجز قَصْدِيَّتَه وما يريد إيصاله للمخاطب، من خطورة وباء كورونا الذي بات مهددًا للإنسانية جمعاء.

٢ – أسهمت (التقريريات) بشكل كبير في إبراز الوظيفة المعلوماتية للنص من خلال ما قدمته من معلومات ووقائع حول طبيعة جائحة كورونا، وقد قدم الشاعر من خلالها ما يؤيد صدق المحتوىٰ القضوي المتمثل في حقيقة هذه الجائحة وما يستتبعه من الالتزام بإجراءات الحجر المنزلي، وهذا يؤدي إلىٰ إنجاز قَصْدِيَّتِه وتحقيق التأثير المطلوب في المتلقي.

٣– تمثلت الأفعال الكلامية/ الوعديات في النص من خلال ثنائية الوعد والوعيد وقد نجح الشاعر، عبر ما قدمه في هذه القصيدة من أفعال كلامية، في تحقيق تلك المعادلة الصعبة بين فعل الوعيد القائم علىٰ التخويف من مآلات الوباء الفتاك، وبين رسائل الطمأنة القائمة علىٰ التحول الإيجابي واستثمار ذلك في إنتاج فعل الوعد.

٤ – اتكأ الشاعر في قصيدته – في الأغلب – علىٰ الأفعال الكلامية (الطلبيات) لما لها من دلالة علىٰ التوجيه والحث وطلب الالتماس، محاولًا من خلالها إثارة المتلقي وتوجيهه إلىٰ اتخاذ موقف إيجابي بشأن جائحة كورونا متمثلًا في لزوم البيت، وعليه قراءة الأزمة بالشكل الصحيح واستغلال وقته والاستفادة منه بالصورة الأمثل، حتىٰ يخرج من الأزمة معافىٰ صحيًا

ونفسيًا، بدلًا من أن يجد نفسه محاطًا بالاكتئاب والتوتر والقلق النفسي.

٥- رغم قلة الأفعال الكلامية (الإيقاعيات) إلا أنها استطاعت أن تؤثر في المستمع، إذ إن قوتها الإنجازية تحدث تغييرًا بمجرد التلفظ بها، وقد حاول الشاعر أن يغير نظرة المتلقي من خلالها إلىٰ ضرورة النظر للحجر المنزلي بنظرة إيجابية تفاؤلية.

٦- استطاع الشاعر من خلال (البوحيات) أن يعبر عن الحالة النفسية التي قد تنتابه أو تنتاب المتلقي من هول هذه الجائحة التي باتت تهدد مستقبل الإنسانية، وخصوصًا إذا كنت تحارب شبحًا مجهول المعالم، وما عليك إلا التسلح بالإجراءات الاحترازية والتضرع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لكشف هذه الجائحة.

التوصيات:

١- التوسع في دراسة شعر عبد العزيز الهمامي بوجه عام، وديوان هديل الغيمة بوجه خاص، وهو ديوان حاصل علىٰ أفضل ديوان شعري من مؤسسة البابطين، حيث إنني لم أقف علىٰ أية دراسات أكاديمية متخصصة تناولت شعر الهمامي.

٢- التوسع في دراسة نظرية الأفعال الكلامية وتطبيقها علىٰ نصوص أدبية متنوعة ومختلفة لما لها من أثر مهم وبارز في الكشف عن قصدية المتكلم.

***

قائمة المصادر والمراجع

- **اتجاهات البحث اللساني.** إفيتش، مليكا، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، ط٢، القاهرة: المجلس الأعلىٰ للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠م.
- **الأساليب الإنشائية في النحو العربي.** هارون، عبد السلام، ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
- **إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية.** الشهري، عبد الهادي بن ظافر، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤م.
- **إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة.** نقله إلىٰ العربية وعلق عليه: بحيري، سعيد حسن، ط١، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.** نحلة، محمود أحمد، ط١، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية).** ميلاد، خالد، ط١، تونس: المؤسسة العربية للتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- **التداولية.** يول، جورج، ترجمة: قصي مهدي العتابي، ط١، الرباط، المغرب: دار الأمان، بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- **التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي).** صحراوي، مسعود، ط١، بيروت، لبنان: دار الطليعة، ٢٠٠٥م.
- **التداولية من أوستن إلىٰ غوفمان.** بلانشيه، فليب، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، اللاذقية، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- **التداولية اليوم علم جديد في التواصل.** روبول، آن؛ وموشلار، جاك، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، ط١، بيروت، لبنان: دار الطليعة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية.** بلخير، عمر، ط٢، الجزائر: الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

- **التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد.** عبد الحق، صلاح إسماعيل، ط١، بيروت، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
- **التحليل اللغوي للنص مدخل إلىٰ المفاهيم الأساسية والمناهج.** برينكر، كلاوس، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن بحيري، ط١، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي.** المتوكل، أحمد، ط١، الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- **السيميائية وفلسفة اللغة.** إيكو، أمبرتو، ترجمة: أحمد الصمعي، ط١، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.
- **العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي.** سيرل، جون، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦م.
- **علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية.** الحسن، شاهر، ط١، عمان: دار الفكر، ٢٠٠١م.
- **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلها في الدرس العربي القديم.** بوجادي، خليفة، ط١، الجزائر: بيت الحكمة، ٢٠٠٩م.
- **مبادئ في اللسانيات.** الإبراهيمي، خولة طالب، ط٢، الجزائر: دار القصبة للنشر، ٢٠٠٠م.
- **مجلة الكلمة** – كورونا (alkalimah.net)، العدد ١٥٦، إبريل ٢٠٢٠م.
- **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية).** بوقرة، نعمان، ط١، عمان: جدارا للكتاب العالمي، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.
- **المقاربة التداولية.** أرمينكو، فرانسواز، ترجمة: د. سعيد علوش، ط١، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م.
- **موقع تراجم تونسية** https://trajimtounoussia.wordpress.com، نقلًا عن مقال بعنوان الشاعر والصحفي عبد العزيز الهمامي، ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٠م.
- **موقع مؤسسة البابطين الثقافية**، https://www.albabtaincf.org/afdhl-dywan، ترجمة الشاعر.

- **موقع ميدل إيست أون لاين** https://middle-east-online.com، نقلًا عن مقال بعنوان: الهمامي.. شاعر تونسي مأخوذ بهاجس المكان ٢٣ فبراير ٢٠٢٠م.
- **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية.** نحلة، محمود أحمد، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، مج١، ع١ (محرم - ربيع الأول ١٤٢٠/ أبريل - يونيو ١٩٩٩م)، ص (١٥٦ - ٢١٧).
- **نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام).** أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب.** الطبطبائي، طالب سيد هاشم، د.ط، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
- **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي.** دايك، فان، ترجمة: عبد القادر قينيني، ط١، الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.

***

Bibliography

- ›itijahat al-bahth al-lisanii: Ivitch, Malika, translated by: Saad Abdel Aziz Maslouh, Wafaa Kamel Fayed, second edition, Cairo, the Supreme Council of Culture, the National Translation Project, 2000 AD.
- Al-›asaleeb al-›inshayiyat fi al-nahw al-‹arabii: Haroun, Abdel Salam, Fifth Edition, Cairo, Al-Khanji Library, 2001, AD.
- ›istiratijiaat al-khitab muqarabat lughawiat tadawuliat: Al-Shehri, Abdel-Hadi Bin Dhafer, first edition, Beirut, Lebanon, New United Book House, 2004 AD.
- ›ishamat ›asasiat fil-all?aqat bayna annasi wannahw waddilala: Translated into Arabic and commented on by: Behairy, Saeed Hassan, first edition, Cairo, Al-Mukhtar Institution for Publishing and Distribution, 1428 AH - 2008 AD.
- ›afaq jadidat fi al-bahth al-lughawii al-mu?asir: Nahla, Mahmoud Ahmed, Alexandria, University Knowledge House, 2002 AD.
- Alinshaa fi Alarabia bayna At-tarakiib waddilala (Dirasat Nahwiat Tadawuliat): Milad, Khaled, first edition, Tunis, Arab Distribution Corporation, 1421 AH - 2001AD.
- Attadawulia: Yule, George, translated by: Qusai Mahdi Al-Atabi, first edition, Rabat, Morocco, Dar Al-Aman, Beirut, Lebanon, Arab House of Science Publishers, 1431/2010 AD.
- Attadawulia ?ind al-?ulamaa al-‹arab (dirasat tadawuliat lizahirat al-›af‹al al-kalamiat fitturath al-lisanii al-‹arabii): Sahrawi, Massoud, first edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Tali‹a 2005 AD.
- Attadawulia min Austin ›ilaa Goffman: Blanchett, Flip, translation: Saber Al-Habasha, first edition, Laziqya, Syria, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, 2007 AD.
- Attadawulia al-yawm ‹ilm Jadid fi attawasul: Rubaul, Anne, and Mochlar, Jacques, translated by: Seif El-Din Daghfous, Muhammad Al-Shaibani, review: Latif Zitouni, first edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Taliaa Publishing and Distribution, 2003 AD.
- Tahlil Al-khitab Al-masrahii fi Daw› annazariat attadawulia: Belkheir, Omar, second edition, Algeria, Al-Amal for printing, publishing and distribution, 2013 AD.
- Attahlil al-lughawii ?ind madrasat Oxford: Abdel Haq, Salah Ismail, first edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Tanweer for printing and publishing, 1993 AD.
- Attahlil al-lughawii al-lisanii madkhal ›ilaa al-mafahim al-asasiia wal manahij: Brinker, Klaus, translated and commented on and paved by: Saeed Hassan Behairy, first edition, Cairo, Al-Mukhtar Institute for Publishing and Distribution, 2005 AD.
- Dirasat fi nahw al-lughat al-arabiat al-wazifii: Al-Mutawakel, Ahmed, first edition, Casablanca, Morocco, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1986 AD.
- Assiymya›iyat wafalsafat al-lughat: Eco, Umberto, translated by: Ahmad Al-Sama'i, first edition, Beirut, Lebanon, Center for Arab Unity Studies, 2005 AD.
- Al-?aql wal-lughat wal-mujtama?, al-falsafat fi al-‹alam al-waqi‹ii: Searle, John, translated by: Saeed Al-Ghanimi, first edition, Algeria, Al-Kifar Publications, 2006AD.

- ?ilm addilalat assimantikiyat wal-barajmatiyat fi al-lughat al-arabiat: Al-Hassan, Shaher, Amman, Dar Al-Fikr, 2001 AD.
- Fi al-lisaniaat attadawuliat, ma?a Muhawalat T›asiliha fiddars al-‹arabii al-qadim: Boujadi, Khalifa, first edition, Algeria, House of Wisdom, 2009 AD.
- Mabadi› fi al-lisaniaat: Al-Ibrahimi, Khawla Talib, second edition, Algeria, Al-Kasbah Publishing House, 2000 AD.
- Al-Kalimah Magazine - Corona (alkalimah.net), Issue 156, April 2020 AD.
- Al-mustalahat Al-›asasiyat fi lisaniaat annasi watahlil al-khitab (Dirasat Mu‹jamiat): Bougherra, Numan, first edition, Amman, Jadara for the World Book, 1429 AH, 2009 AD.
- Al-muqaraba Aattadawulia: Written by: Armenko, Françoise, translated by: Dr. Said Alloush, first edition, Beirut, National Development Center, 1986 AD.
- Tunisian translation website https://trajimtounoussia.wordpress.com, citing an article titled poet and journalist Abdelaziz Hammami, November 26, 2020AD.
- Al-Babtain Cultural Foundation website, https://www.albabtaincf.org/afdhl-dywan, translated by the poet.
- Middle East Online website https://middle-east-online.com, quoting from an article entitled: Al- Hammami... a Tunisian poet who is obsessed with the place February 23, 2020AD.
- Nahw nazariat arabiat lilaf?al al-kalamiat: Nahla, Mahmoud Ahmed, Journal of Linguistic Studies, Riyadh, Volume 1, Volume 1 (Muharram - Rabi‹ al-›wwal 1420 / April - June 1999 AD), pp. (156 - 217).
- Nazariat af?al al-kalam Al-‹amat (kayfa nunjiz al-›ashya› bil-kalimat?): Austin, translated by: Abdelkader Kenini, first edition, ›ddar ›lbaydaa, East Africa, 1991AD.
- Nazariat al-alaf?al al-kalamiat bayn falasifat allughat almu‹asirin wal balaghiiyn al‹arab: Al-Tabatabai, Talib Sayed Hashem, (Dr.), Kuwait, Kuwait University Press, 1994 AD.
- Annasu wal siyaq, ›istiqsa› al-bahth fil-khitab addalalii wattadawulii: Dyke, Van, translation: Abdelkader Qinini, first edition, Casablanca, Morocco, East Africa, 1999AD.

❊ ❊ ❊